الفن المعاصر

AL.FANN AL.MOASER Contemporary Art Review Revue d'Art contemporaine

5
ربيع
2004

أكاديمية الفنون
ACADEMY of ARTS
ACADEMIE des ARTS

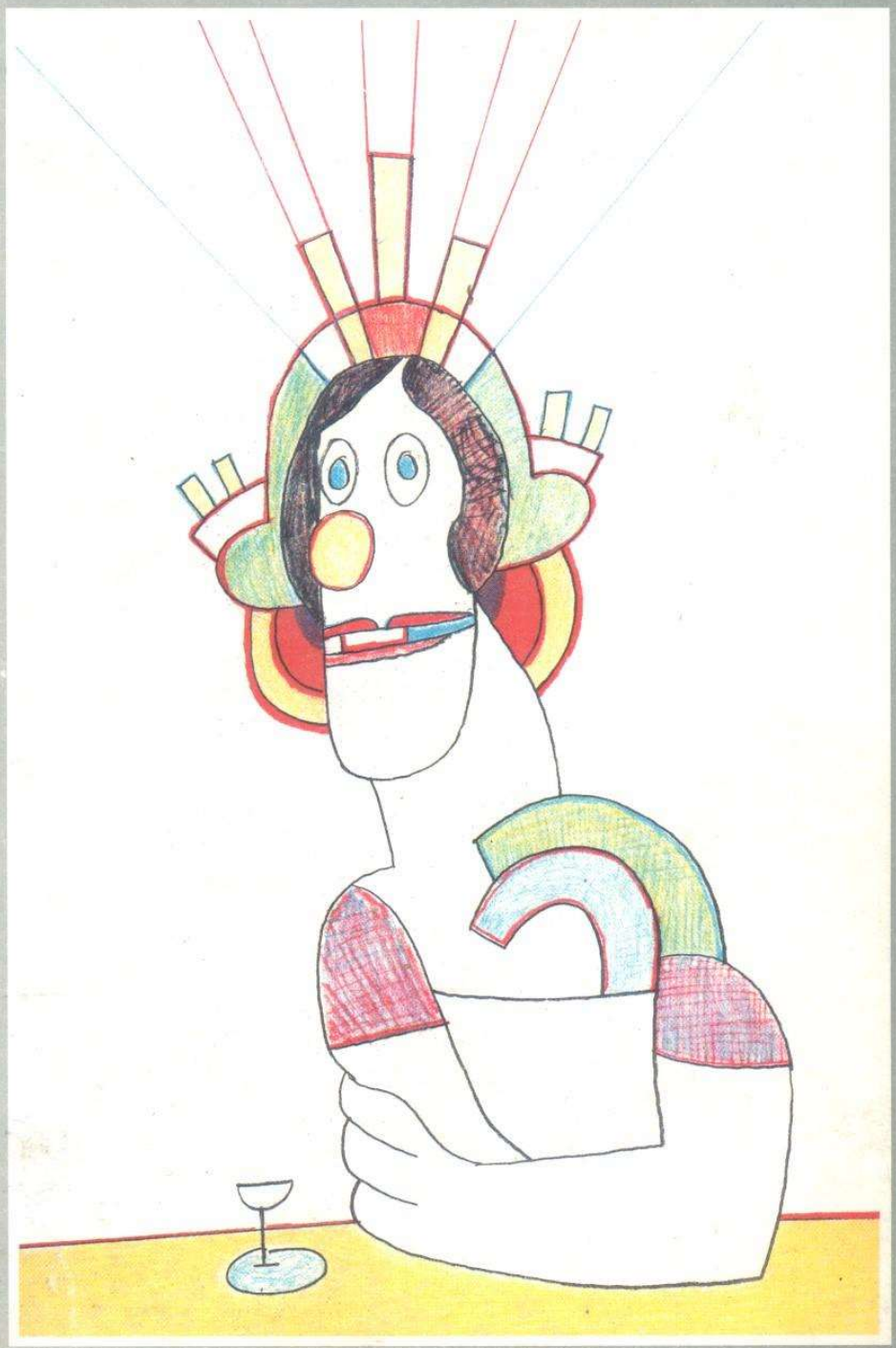

الفن المعاصر

مجلة علمية محكمة تصدرها أكاديمية الفنون

لوحة الغلاف

سول ستينبرج [١٩١٤ – ١٩٩٩]، «بونبون رودان»، ١٩٧٢، متحف المتروبوليتان، نيويورك.

ولد «ستينبرج» في رومانيا، وأنهى دراسته للعمارة في ميلانو عام ١٩٤١، وهاجر إلى الولايات المتحدة عام ١٩٤٢، وشارك في الحرب العالمية الثانية بدءًا من عام ١٩٤٣.

الفن المعاصر

مجلة فصلية متخصصة فى الفنون تصدرها أكاديمية الفنون

رئيس الأكاديمية

أ . د. هانى مطاوع

نائب رئيس الأكاديمية

أ . د. شاكر عبد الحميد

رئيس التحرير

أ . د. فوزى فهمى

مدير التحرير

أ.م.د. وائل غالى

سكرتير التحرير

أحمد رمضان

مستشارو التحرير

أ . د . سمحة الخولى

أ . سعد أردش

أ . توفيق صالح

أ . د. نبيل راغب

أ . د. رتيبة الحفنى

أ . د. صلاح قنصوة

أ. صفوت كمال

هيئة التحرير

أعضاء هيئة التدريس بأقسام اللغات والترجمة بمركز اللغات والترجمة بالأكاديمية

التصميم الفنى

محيى الدين اللباد

المحتويات

كلمة المحرر

مسرح

أزمة اللغة فى " المسرح الجديد" الإسبانى 015

بقلم : خوسيه جارثيا تمبلادو • ترجمة : د. خالد سالم • مراجعة : أ.م.د . حسن عطية

المرأة فى الأعمال المسرحية اليابانية الحديثة 035

بقلم : كوايكيه ميساكوو • ترجمة : نجلاء الحفنى • مراجعة : د. عادل أمين

سينما

ما بعد التصوير الفوتوغرافي وما بعده 057

من النسخ الآلي إلى الإنتاج الرقمي

بقلم : جوران سونيسون • ترجمة : داليا صبرى • مراجعة : أ.د. هشام أبوالنصر

شارات الرؤية 077

بقلم : محرر مجلة الجمعية الدولية للبيسبول •ترجمة : د. إيمان حجازى • مراجعة : د. يحيى عزمى

موسيقى

نظرية المجال فى علم علامات الموسيقى 091

بقلم : فكتور أ. جراور • ترجمة : التحرير • مراجعة : أ.د. راجح داود

موسيقى الجاز والعرق 107

بقلم : ساندى كارتر • ترجمة : هبة نبيل • مراجعة : أ.د عزة مدين

رقص

التخطيط المادي : مراجعة الرقص الرقمي ١٩٩٧" 119
بقلم : سوزان كوزيل • ترجمة : د. سومية مظلوم • مراجعة : أ.د نبيل راغب ، د. محمود كامل

ثقافة الرقص ، رقص الثقافة 131
بقلم : شارى كورنيللى • ترجمة : د. سحر فراج • مراجعة : د. محمود كامل

فنون شعبية

العابر والخالد أم غسق المحدثين؟ 159
بقلم : فيليب مانورى • ترجمة : التحرير • مراجعة : أ.د. راجح داود

سياسات الهوية 173
بقلم : جون براون تشايلدز • ترجمة : د. سمية رمضان • مراجعة : أ.د نبيل راغب

فنون تشكيلية

المجالات المعرفية الممكنة من خلال مشروع "الأروقة" 189
بقلم : لورا تشيزا • ترجمة : د. محمد لطفي نوفل • مراجعة : أ.د. مصطفى عثمان

الصفات الأساسية والتفسير النفسي والفسيولوجي للإدراك الحسي للألوان 211
بقلم : أوستن كلارك • ترجمة : أ.د. أمين الرباط • مراجعة : أ.د عبد الحميد الخريبى
أ.د. شاكر عبد الحميد

نظرية نقدية

البلاغة في مقابل الواقع 251
بقلم : ميخائيل ألبرت • ترجمة : د. محمد الجندى • مراجعة : أ.د. نهاد صليحة

نظام العلامات السردية والاستطرادية 261
بقلم : جوزيف كورتيس • ترجمة : أ.د حمادة إبراهيم • مراجعة : أ.د منى صفوت

نظرية ثقافية

الثقافة والسلعة 275
بقلم : ماري فرناندو بولونييزي • ترجمة : د. سمير متولى • مراجعة : أ.م.د. حسن عطية

نقد العقل الغربي، والاستشراق ، والأصولية الإسلامية 285
بقلم : منى أباظة و جيورج ستاوت • ترجمة : سامح فكرى • مراجعة : أ.د صلاح قنصوة

اتصال

علم العلامات الحيوية : المدخل الوظيفي-التطوري إلى تحليل معنى المعلومات .. 331
بقلم : أليكسى أ. شاروف • ترجمة : د. محمد لطفى نوفل • مراجعة : أ.د. نبيل راغب

تجديدات القطيعة أو التكنولوجيات المتقدمة والمستقبل 377
بقلم : إليو فليزيا • ترجمة : د. فيفى فريد • مراجعة : أ.د. حمادة إبراهيم

إبداع

مسرحية «الملك وأنا» 409
بقلم : أوسكار هامرشتاين • ترجمة : د. سامى صلاح • مراجعة : أ.د. أمين الرباط

وثائق ثقافية

عالم بلا جدران 505
بقلم : بيل كلينتون • ترجمة : تامر عبد الوهاب • مراجعة : د. محمود كامل

سقوط النسر 517
بقلم : عمانوئيل فلرشتاين • ترجمة : أ.د أمين الرباط • مراجعة : أ.د عبد الحميد الخريبى

مصطلحات

الإصلاح الفكرى ، تمازج التخصصات، إصلاح الجامعة 539
بقلم : إدجار موران • ترجمة : د. چيهان عيسوى • مراجعة : أ.د حمادة إبراهيم

كلمة المحرّر

نقدم، هنا، للعدد الخامس، من أعداد مجلة الفن المعاصر، في الوقت الذي يستعيد فيه، العالم، شكه التام في قيم الحضارة الإنسانية بعامة. من سترندبيرج السويدي إلى برتولد برشت الألماني، ترتاب الطليعة الفنية والأدبية العالمية في قيم الحضارة الغربية. ترتاب في التقدم، وفي العلم والصناعة، وفي التيار الوضعي والمادي، وتضخم النزعات الفاشية/النازية/الفاشية الجديدة... لكنها ترتاب أيضا في غرور الاستعمار والهيمنة على الثروات والشعوب، وغير ذلك من ظواهر الحضارة الغربية الحديثة وما بعد الحديثة. لذلك تظل الريبة العالمية مزدوجة : الريبة من الحضارة ومن نقيضها معا.

يرتاب المثقفون الغربيون، منذ مطلع القرن العشرين تقريبًا، في معنى التقدم والتطور. ويحتجون على المدنية. وليس الشك الراهن بالشيء الجديد؛ وإنما تمتد جذوره في التراث العقلي الأوروبي القديم والحديث بعامة، وفي مدارس اليونان بخاصة. وسبق أن مجد بعضهم القبح واعتبره عنصرا من عناصر الجمال الفني، وثار بعضهم الآخر على أوروبا ومدنيتها في الفنون والثقافة. وثار آخرون على انهيار الأخلاق. وتنبأ آخرون بالعدمية وببدء عصر جديد، وإنسانية جديدة تمجد القوة. صار الوعي الغربي إلى اللاشعور، واستعاد بدائيته، وأراد تحطيم الواقع الخارجي. صار الوعي الغربي إلى تحليل إنهيار الحضارة الغربية بين المرض، والتيه، والانحطاط الحضاري الغربي، والتناقض بين الحياة والتاريخ، ومضار التاريخ للحياة، والحياة المنسية لا الذكر، والأزمة العدمية الحضارية الغربية، وأزمة التمرد والإرهاب، وتخفيض قيمة القيم كلها، والعبث واللامعقول، وعدمية المثال الميتافيزيقي نفسه، والأكاذيب، والفصل بين القيم والأخلاق، والإسقاط الميتافيزيقي، وموت القيم الكونية، من العدمية المنفعلة إلى العدمية الفعالة، وتجاوز العدمية، الفوضى، والنفيّ. ترتاب الطليعة الفنية ...

... والأدبية العالمية في الذات، وفي البداية من الصفر، وفي "وقائع الوعي"، وفي النفس، وفي العلية، وفي التوازي النفسي–الفسيولوجي، وفي الإرادة. صار العلم إلى السؤال، وصار إلى العدمية، وصار التفاؤل العقلاني إلى موضع الأخلاق، وصارت الموضوعية العلمية إلى موضع السؤال، وصارت الميتافيزيقا إلى ينابيع السؤال.

استعادت الفنون والثقافة العالمية الراهنة، فنون وثقافة بدايات القرن العشرين، وكأن قرنًا لم يقع قط. استعادت السياسة العالمية سياسة القرن التاسع عشر الميلادي ، وكأن قرنًا من التحرر الوطني لم يقع قط. استعادت الهيمنة العالمية سياسة الاستعمار القديم ، وكأن قرنًا من الاستقلال الوطني لم يقع قط. استعادت السيطرة العالمية السياسة الإمبراطورية القديمة، وكأن قرنًا من حركات التحرر الوطني لم يقع قط. صارت مابعد الكولونيالية إلى الكولونيالية القديمة بوسائل إلكترونية بعد حديثة.

تحتج الفنون والثقافة على المدنية الغربية التي تطرفت في استخدام الآلة إلى حد غير إنساني. تثور على المدنية والآلية. تستعيد الحركة الفنية والروحية، التي كانت قد بلغت ذروتها في العشرينيات، وما زالت تطبع الفكر الأوروبي الحديث بطابعها إلى اليوم. تزحف ذئاب الفاشية، وقطعانها الهمجية، من جديد. وتندلع نيران الحرب العالمية الرابعة.

يئس العالم من الحضارة والثقافة والمدنية. ويتمرد المثقف الغربي على الحضارة الغربية بوجه عام، ويفضل التدفق المحموم على الوضوح الصارم ، والنشوة على العقل والنظام. هل يقدر الفن أن يتجاوز حدود الواقع ؟ هل يقدر أن يبلغ جوهر الإنسان وحقيقته التي طالما حجبتها المدنية الآلية خلف قناع كثيف من التصنع؟ إنها عودة

الإنسان التقليدي. إنها استعادة للإنسان القديم – الإنسان الذي يتقيد بنظام حضاري وثقافي جنى عليه وأحاله إلى وحش. إنه الاندفاع والجموح بدل النظام والشكل. إنها الأساطير والخرافات وحكايات الجن ونصوص التصوف القديم ورؤاه، بدل القيم العقلية. وفي الوقت الذي تسيطر فيه القوة على العقل، يلتمس الفنانون التعبير المرئي واليدوي، الفرعوني والآشورى والياباني، ونماذج من النحت الإفريقى.. السابق على الحرف المكتوب. وفي الوقت الذي يسيطر فيه التشاؤم على اليوتوبيا، يستكشف الفنانون الفن البدائي الذي كان له أثر بالغ في تطور الفن المعاصر.

فالمدنية الإنسانية أو المدنية الغربية، تعيش نوعا من القلق، منذ مطلع نشأتها. لذلك، فكيف تصارع الحضارة العربية، المدنية الغربية "القلقة"، "المتصارعة هي نفسها داخليًا ؟ كيف تصارع الحضارة العربية، المدنية الغربية والصراع من طبيعة المدنية الغربية ؟ كيف تصارع الحضارة العربية، المدنية الغربية والحرب من طبيعة المدنية الغربية ؟ كيف تحل الحضارة العربية، السلام، محل الحرب الغربية ؟ كيف تقيم الحضارة العربية، السلام، مكان الإرهاب، الذي شوه صورتها ؟

في أكثر الأحيان ، يمثل الحلم بداية القلق ، مشروعا ، جدالا داخليا. لذلك لا تلبث الحضارة الغربية أن تضطهد غيرها. فنظرية شارل داروين في "أصل الأنواع"، التي عرفت يومئذ رواجًا كبيرًا، تكشف اليوم عن أبعاد جديدة في تطبيقاتها، خارج نطاق الطبيعة. إن المطلوب من المواطن غير الأمريكي أن يشعر أنه أدني من الآخرين، ومنبوذ عن نموذجهم، ولن يرضخ، فإن المواطن غير الأمريكي لا يفهم أبدا لماذا يتعين عليه أن يخجل من أصله. وبالمقابل نتنازل بغير ما أسف عن مشاركة الآخرين قوميتهم. فبإمكان المرء على الدوام أن يجد لنفسه مكانًا معينًا في إطار المجتمع الإنساني، حتى وإن استبعد من مثل ذلك المجتمع.

...

... إن مدار الأبحاث والدراسات والمقالات العلمية، المنشورة هنا، هو محاولة للبحث عن معنى آخر، عن حلم آخر، يقبل التفسير غير العدواني، بل يقبل الحياة لا الموت الذي يرسله إلينا المجتمع الصناعي المتقدم، عبر حروبه المتكررة، ومشاهده المعادة منذ نحو عقد من الزمان.

إن السبب في شعور الإنسان الغربي بالغربة في هذا العالم، الذي كان يومًا عالمًا جميلا، هو الاضطراب الذي أصاب موقف الغرب إزاء الموت. لم يكن هذا الموقف مستقيمًا، فقد كان الغرب- بالطبع- مستعدا لأن يعتقد أن الموت هو النتيجة الضرورية للحياة. وباختصار، إن الموت طبيعي، لا يمكن إنكاره، ولا يمكن اجتنابه. ومع ذلك فإنه - في الواقع- كان معتادًا أن يحيا كما لو كان الأمر يجري على نحو مغاير. فكان يبدي ميلا واضحا لأن يركن الموت "على الرف"، وأن يزيله من الحياة. لقد حاول أن يخرسه. فإن موتنا هو أمر لا يمكن تخيله. وكلما حاولنا أن نتخيله أدركنا أننا في الواقع نعيش كمشاهدين. لا أحد يعتقد- في أعماقه- بموته الشخصي، أو، إن كلا منا - في اللاوعي- مقتنع بخلوده الشخصي.

أما عن موت الآخر، فإن الإنسان المتحضر يجتنب - بعناية- الحديث عن مثل هذا الاحتمال على مسمع من الشخص المعني. والأطفال وحدهم هم الذين يغفلون هذا القيد. أما البالغ المتحضر فإنه لا يكاد يقدر أن يضمر فكرة موت الآخر من دون أن يبدو لنفسه قاسيًا أو شريرا. وعادتنا هي أن نركز كل التركيز على العلة العارضة للموت- حادث، مرض، عدوى، تقدم في العمر. وبهذه الطريقة نفضح محاولتنا لتعديل دلالة الموت من ضرورة إلى مصادفة. أما إذا واجهنا موت الكثيرين في وقت واحد، كما في الحرب، فإن ذلك يبدو لنا مثيرًا "للصدمة والترويع" ■

المسهمون فى هذا العدد

خوسيه جارثيا تمبلادو
أستاذ اللغة الإسبانية و آدابها بجامعة مدريد كومبلوتنسي بإسبانيا

كوايكيه ميساكوو
باحث في المسرح الياباني المعاصر

جوران سونيسون
أستاذ بقسم علم العلامات بجامعة لوند بالسويد

فكتور أ. جراور
أستاذ علم العلامات الموسيقية

ساندي كارتر
أستاذ الموسيقى

سوزان كوزل
أستاذة الرقص الإنجليزية

شاري كورنيللي
أستاذ الرقص

فيليب مانوري
أستاذ الموسيقى الفرنسي المعاصر

جون براون تشايلدز
أستاذ علم الاجتماع الأمريكي

لورا تشيزا
أستاذة العمارة الإيطالية

أوستن كلارك
أستاذ الفلسفة بجامعة كونيكتيكت بالولايات المتحدة

ميخائيل ألبرت
محلل سياسي أمريكي

جوزيف كورتيس
أستاذ النقد الفرنسي

ماريو فرناندو بولونييزي
أستاذ النقد الثقافي البرازيلي

منى أباظة
أستاذة الاستشراق

جيورج ستاوت
أستاذ دراسات الشرق الأوسط الأمريكي

...

أليكسي أ. شاروف
باحث بقسم الحشرات بمركز البحث العلمي بفرجينيا بالولايات المتحدة

إليو فليزيا
أستاذ العلوم التكنولوجية بجامعة إكس-مارسيليا بفرنسا

أوسكار هامرشتاين
شاعر غنائي مسرحي أمريكي

مارجريت لاندون
(١٩٠٣-١٩٩٣)، روائية أمريكية

بيل كلينتون
رئيس الولايات المتحدة السابق

عمانوئيل فلرشتاين
مفكر أمريكي، و عالم و أستاذ البحث الاجتماعي في جامعة ييل بالولايات المتحدة

إدجار موران
ناقد سينمائي أمريكي

لماذا الهوية غائبة؟

إن مفهوم الهوية أو الهوية الثقافية يتحدد بالقدرة التي يتمتع بها شخص ما أو جماعة ما، وتدور على هذا المفهوم، أسئلة مثل لماذا الهوية غائبة؟ أو كيف تكتسب الهوية؟. وجزء كبير من أبيات مفهوم الهوية يدور على مفهومي الإغتراب والتطبيع الإجتماعي، وبنية المناقشات حول هذه المفاهيم تقوم في ضرورة التطبيع الاجتماعي للناس أو الجماعات حتى يؤسسوا هويتهم، أو في كيفية معالجة المغتربين بمعونة اعادة التطبيع الاجتماعي بحيث يعودون الى ما كانوا عليه قبل الاغتراب [...] إن الإغتراب له علاقة بالعجز أو بفقدان المعنى.

ادوارد بونسل

عن بحث : ادوارد بونسل، "الهوية : أسطورة أم حقيقة؟"،
في كتاب : أ. د. مراد وهبة (المحرر)، "الهوية الثقافية في الزمان"، أبحاث المؤتمر الخامس للمجموعة الأوروبية العربية للبحوث الإجتماعية، القاهرة، مكتبة الأنجلو، ١٩٩٢، ص ٢٧ .

وثائق ثقافية

عالم بلا جدران 505
بقلم : بيل كلينتون

سقوط النسر 517
بقلم : عمانوئيل فلرشتاين

عالم بلا جدران

بقلم : بيل كلينتون

ترجمة : تامر عبد الوهاب

مراجعة : د. محمود كامل

يثير بيل كلينتون فى المقال "عالم بلا جدران" (الصادر فى صحيفة الجارديان، بتاريخ ٢٦-١-٢٠٠٢) سؤالاً محوريًا : كيف نهزم الإرهاب العالمى؟ أى : كيف تهزم الولايات المتحدة، الإرهاب العالمى؟ ويجيب قائلا إن هزيمة الإرهاب العالمى تتم بسد الفجوة بين الأغنياء والفقراء. لكن بيل كلينتون لا يبلغ فى مقاله درجة الإنصاف فى التحليل. فليست الولايات المتحدة نفسها، وليس الإسلام كعقيدة، هما السبب فى الإرهاب الدولى الراهن. صحيح أن الولايات المتحدة انتصرت فى الحرب الباردة، لكن مفهوم ثنائية الشر المطلق، من جهة، والخير المطلق، من جهة أخرى، أو مفهوم ثنائية الباطل المطلق، من جهة، والحق المطلق، من جهة أخرى، أو مفهوم ثنائية القبح المطلق، من جهة، والجمال المطلق، من جهة أخرى، هو الذى يقبع خلف الإرهاب والإرهاب المضاد. فالإرهاب يصدر عن تجريد المبادئ من واقعها، ومن واقع صراع القوى، إذ تؤدى الحرية المجردة، والاعتقاد الصورى، والحق الشكلى، والعدل المسبق، والعقل الطاهر، والحقيقة السامية، والجمال التام، والرضا التام، والحكمة المطلقة، جميعا، إلى تقرير نهاية التاريخ البشرى، كما توهمت الصقور فى الإدارة الأمريكية، وإقامة دولة الإرهاب، ...

... وإمبراطورية العنف. هذا التعالى التجريدى هو إذن قناع لا بد من رفعه لفهم الإرهاب السياسى باسم الدين، والإرهاب الدينى، باسم حقوق الإنسان. وفى ذلك إشارة مزدوجة إلى وحشية القرن الحادى والعشرين، التى يتم التأسيس لها، حينًا، باسم "التقدم"، و"القيم الإنسانية"، وحينًا آخر، باسم "صحيح الدين". بل كانت أصول المعانى القبلية والنقلية، الباعث على الحروب الأهلية الداخلية، وبعض الحروب الإقليمية والخارجية، فى أوروبا القرنين "الدينيين" السادس عشر، والسابع عشر الميلاديين، إذا ما قصرنا الكلام على المجتمعات الأوروبية الأمريكية.

هذه هى الترجمة العربية الكاملة لنص مقال

Bill Clinton, "World without walls", Guardian, Saturday january 26, 2002.

وعنوانه على شبكة الإنترنت الدولية:

http://www.guardian.co.uk/Archive/Article/0,4273,4342925, 00.html

هل سيكون عصر التكامل والاعتماد المتبادل فى مصلحة البشرية أو وبالاً عليها؟ هذا هو السؤال الكبير الذى يطرح نفسه فى القرن الجديد. وتستند الإجابة عن هذا السؤال إلى ما إذا كنا نحن فى الأمم الغنية نقوم بنشر الفوائد والمنافع، وتخفيف الأعباء التى تثقل كاهل العالم المعاصر، وما إن كانت الأمم الفقيرة تضطلع بدورها فى إحداث التغييرات اللازمة للتطور والنمو.

كما تعتمد أيضًا على مدى تمكننا من بلوغ مستوى كاف من الوعى بالتزاماتنا ومسئولياتنا كلٌ تجاه الآخر.

بيد أننا لن نتمكن من تحقيق ذلك ما دام فقراء العالم تحت زعامة أناس مثل "أسامة بن لادن" -أناس يؤمنون بأن التكفير عن الذنوب والخطايا لن يكون إلا فى فنائنا- وما دام الأغنياء تحت إمرة قادة لا يخدمون إلا مصالح ذاتية تتسم بقصر الرؤية والتبصر، ويروجون لذلك الوهم القائم على أننا سنستطيع - إلى الأبد- التمتع والاستئثار بما ننكره على الآخرين.

سيكون لزامًا علينا جميعًا أن نتغير.. لقد تحدث الفلاسفة وعلماء الدين طويلاً عن ذلك التكامل الذى يجب أن يُظل الإنسانية جمعاء، وتحدث عنه السياسيون أيضًا بشكل جاد، على الأقل منذ أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، بالتحديد حين تأسست منظمة الأمم المتحدة، ولكن العامة من الناس ينظرون إلى هذا التكامل والاعتماد المتبادل باعتباره أمرًا مسلّمًا به ؛لأنه يتخلل مظاهر حياتنا كافة ؛إذ نحن الآن نقطن عالمًا هدمنا فيه الجدران، وأذبنا المسافات ، ونشرنا المعلومات.

لم تكن هجمات الحادى عشر من سبتمبر الإرهابية سوى أحد تجليات تلك العولمة بقدر ما كانت انفجارا للنمو الاقتصادى ؛ فلن نستطيع دائمًا حصد المنافع جميعا دونما مواجهة الجانب المعتم من العملة، ومن ثم فمن المهم بحق أن ننظر إلى نضالنا الحالى ضد الإرهاب فى سياقه الأكبر ؛ ألا وهو كيفية إدارة عالمنا الذى يسوده مبدأ اعتمادنا بعضنا على بعض .

إن سُئلتَ فى العاشر من سبتمبر عن ماهية القوى التى يُحتمل اضطلاعها بتشكيل بداية القرن الحادى والعشرين فإجابتك حينئذ كانت سوف تتباين استنادًا إلى البقعة التى تقطنها فى هذا العالم. فلو كنت تعيش فى بلد غنى، وكنت أيضًا مفعمًا بالتفاؤل، فستجزم بأن الاقتصاد العالمى هو القوة التى ستصوغ القرن الجديد، فهو ما جعل الدول الثرية أكثر ثراءً، وهو ما تمكن خلال الثلاثين عامًا ...

... المنصرمة- أكثر من أى زمن مضى على مر التاريخ- من انتشال الكثيرين فى جميع أنحاء العالم من مستنقع الفقر، كما رأينا كيف تسنى للبلاد الفقيرة التى اختارت التنمية من خلال الانفتاح أن تتطور وتتقدم بسرعة مضاعفة لمثيلاتها التى أبقت على سياسة إغلاق الأسواق .

ثانيًا : كان من الممكن أيضًا أن تجيب بأن تفجر تكنولوجيا المعلومات سوف يكون تلك القوة؛ فتلك التكنولوجيا هى التى تضاعف الإنتاجية التى تعد قاطرة النمو..وأود فى هذا الصدد الإشارة إلى أمر يصعب تصديقه اليوم ؛فلقد كان عدد المواقع الإلكترونية على شبكة المعلومات الدولية حين اضطلعت بمهام الرئاسة فى يناير ١٩٩٣ خمسين موقعًا، صار بعد تركى المنصب، أى بعد ذلك بنحو ثمانى سنوات، صار نحو ثلاثمائة وخمسين مليون موقع.

ثالثًا: ربما كنت قد أشرت حينئذ إلى الثورة المندلعة حاليا فى العلوم ، وبخاصة فى مجال العلوم البيولوجية ، وهى ثورة تضارع بحق اكتشافات "نيوتن" و"أينشتين"؛ فاكتشاف الجينوم البشرى يعنى أنه سيكون بمقدور الأمهات المنتميات إلى دول تتمتع بأنظمة صحية متقدمة أن ينجبن فى المستقبل القريب أطفالاً يتوقع أن تبلغ أعمارهم التسعين عامًا..كذلك النانوتكنولوجى[١] والميكروتكنولوجى[٢] اللتان تمكاننا من رؤية الأورام الخبيثة وهى لا تزال خلايا صغيرة دقيقة الحجم، مما يضاعف من احتمالات علاج الأمراض السرطانية كافة ، فضلاً عن الأبحاث التى تجرى على الرقائق الرقمية، وتشهد فى الحقيقة تقدمًا مطردًا، بغية مضاعفة الحركات العصبية المعقدة فى الأعمدة الفقرية التالفة، وهو ما يبشر بإمكانية علاج الكثيرين ممن يعانون مرض الشلل.

رابعًا: كان من الممكن أيضًا آنذاك أن تقول -ومن وجهة نظر سياسية- إن العامل الذى سيسيطر على القرن الحادى والعشرين هو تفجر ظاهرة الديمقراطية والتعددية...فلأول مرة فى تاريخ الإنسانية يعيش أكثر من نصف سكان العالم فى ظل حكومات من اختيارهم، كما تشهد بعض الدول التى تطبق أنظمة هجرة مفتوحة، وتسودها اقتصاديات ناجحة مزدهرة ازديادًا مطردًا ولاهثًا فى التنوع الإثنى والعرقى والدينى؛ لتبرهن بذلك على إمكانية التعايش بين أناس ذوى خلفيات متباينة، وعقائد مختلفة، يجمعهم مكان واحد يعملون فيه معًا .

ومن ناحية أخرى ، فإن كنت من بلد فقير، وتغلفك مسحة من التشاؤم فلعلك كنت قد قلت إن الاقتصاد العالمى هو المشكلة وليس الحل ؛ فنصف سكان العالم يعيشون بأقل من دولارين يوميًا ،

ونحو مليار إنسان يعيشون بأقل من دولار واحد فى اليوم، ومليار آخر من البشر يخلدون إلى الفراش كل ليلة وبطونهم خاوية، ولا يحصل ربع سكان العالم على كوب نظيف من الماء ، فضلاً عن أن امرأة واحدة تموت كل دقيقة فى أثناء الوضع .. ومن المتوقع أيضًا أن يزيد عدد سكان العالم خلال الخمسين عامًا القادمة بنسبة خمسين بالمائة يتركز معظمها فى البلاد الأكثر فقرًا، والأقل مقدرة على التعامل مع مثل هذه الزيادة.

وكان من المرجح أيضًا أن تقول إننا – برغم النمو الاقتصادى وربما بسببه – نتعرض لكارثة بيئية تدفعنا إلى هاوية الفناء؛ فالمحيطات التى تمدنا بمعظم ما نحتاج إليه من الأوكسجين تشهد تدهورًا مطردًا ، كما أن ثمة نقصًا حادًا فى المياه يعانيه العالم الآن بالفعل ، كما سيتمخض ارتفاع درجة حرارة الأرض عن كارثة ؛ فإن ظلت حرارة كوكب الأرض ترتفع خلال الخمسين عامًا القادمة بنفس معدل ارتفاعها فى السنوات العشر الماضية، فسوف نفقد تمامًا الدول التى تشغل جزرًا فى المحيط الهادى ، وسنفقد أيضًا خمسين قدمًا من جزيرة مانهاتن بنيويورك ، مما سيخلف عشرات الملايين من اللاجئين المحتاجين إلى الغذاء، وهو ما سيولد بالتالى عنفًا وقلاقل أكثر .

ولعل أزمة الصحة على مستوى العالم كانت قد تصدرت القائمة أيضًا ؛ فواحد من أربعة أشخاص يموت سنويًا بسبب الإيدز والملاريا والسُّل والميكروبات المرتبطة بالإسهال ، جميعهم تقريبًا من الأطفال الذين لا يتسنى لهم الحصول على كوب نظيف من الماء .. فمن مرض الإيدز فحسب توفى اثنان وعشرون مليون نسمة، فضلاً عن وجود ستة وثلاثين مليونًا حاملين لفيروس هذا المرض ، وثمة مائة مليون حالة أيضًا يتوقع إصابتها بالمرض خلال الأعوام الخمسة القادمة إن لم يُتخذ أى إجراء وقائى حيالها. إن حدث ذلك بالفعل فسوف يشهد العالم أضخم مشكلات الصحة العامة منذ القرن الرابع عشر، حين لقى نحو ربع سكان أوروبا حتفهم نتيجة لـ"الموت الأسود" [٣].

وتجدر الإشارة هنا إلى حقيقة مهمة مفادها أنه فى الوقت الذى يوجد ثلث تلك الحالات فى قارة إفريقيا، فإن أسرع معدلات الإصابة بالمرض توجد فى جمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق ، عند بوابة أوروبا الخلفية. أما ثانى أسرع المعدلات ففى منطقة الكاريبى ، أى بوابة أمريكا الأمامية ، فى حين تشهد الهند ثالث أسرع هذه المعدلات ، والهند – كما هو معروف – هى أكبر ديمقراطية فى العالم .. أما الصينيون فقد اعترفوا أخيرًا بأن حالات الإصابة بمرض الإيدز عندهم تبلغ ضعفى ما كان معتقدًا فى السابق، ولا يعرف سوى ٤٪ فقط من الصينيين الصينين كيفية نقل العدوى، أو حتى عوامل انتشاره .

...

... وكان بإمكانك فى العاشر من سبتمبر أن تطرح أيضًا – وبمنتهى العقلانية والمنطق – رأيًا آخر فى القرن الحادى والعشرين، مفاده أنه سيتسم بل سُيعرف بنشوء علاقة تزاوج واتحاد وثيق العُرى بين الأسلحة الحديثة والإرهاب المتأصل نتيجة لمشاعر الكراهية حيال العرف والدين والقبلية والإثنية ..هذه القوى الإيجابية والسلبية كافة تمثل معًا انعكاسًا مذهلاً لأقصى درجة بلغتها ظاهرة التكامل العالمى على مر التاريخ الإنسانى.

إذن ما العمل؟ لا مناص فى الحقيقة من الانتصار فى المعركة الدائرة ضد الإرهاب ؛ فليس ثمة ما يبرر قتل المدنيين الأبرياء عمدًا لأى سبب من الأسباب، سواء أكان سياسيًا أم دينيًا أم اقتصاديًا .جدير بالذكر أن ظاهرة الإرهاب قائمة منذ زمن طويل ، ولكن لا يجب إعفاء الغرب من اللوم فى جميع الأحوال؛ فإبان الحملة الصليبية الأولى حين سقطت القدس فى قبضة الغرب، أضرم الجنود المسيحيون النار فى معبد بداخلة ثلاثمائة من اليهود، ولم يتورعوا عن ذبح كل من كان فى المسجد الأقصى من مسلمين – نساءً وأطفالاً ..إن وطنى اليوم هو أقدم الديمقراطيات المستمرة فى هذا العالم ، بيد أنه ولد وفى كنفه نظام رق مقنن، نجم عنه ترويع وقتل كثير من العبيد السود والأمريكيين الأصليين .

والآن تواجه أمريكا، ومعها دول متقدمة أخرى واقع الإرهاب فى عقر دارها.وبينما أصبح لزامًا علينا أن ننتصر فى الحرب فى أفغانستان، وأن نقوم كذلك بتطوير دفاعاتنا لمواجهة خطر الاستخدام المحتمل لأية أسلحة بيولوجية أو كيميائية أو نووية، يجب علينا فى الوقت نفسه أن نبذل جهدًا أكبر لاكتشاف وسائل نتمكن من خلالها التعرف إلى أناس يقدمون إلى بلادنا بغية البحث عن أى امرئ لقتله ، بل يجب علينا تحجيمهم أيضًا، وذلك فى عالم مفتوح الحدود ، مجتمعاته متعددة الأعراق.. ومن العسير بالطبع تحقيق ذلك من دون إهدار الحريات المدنية؛ ففى أمريكا وكثير من الأمم الأخرى، ثمة أشخاص قادمون دومًا من كل مكان، ولكننا سننجح.

منذ عصر الإنسان الأول، حين خرج من الكهف وبيده هراوة، شهدت الصراعات الإنسانية كافة انتصار الشر والأذى فى البداية ، ولكن إن أقدم خيار الناس على التصرف بحكمة وعقلانية فلا بد أن تستعيد حوائط الصد والدفاع فعاليتها وأن تستمر الحضارة.. وكلما كانت الأسلحة أكثر فتكًا وقدرة على الإفناء؛ تطلب ذلك سرعة التعجيل بتضييق الفجوة الزمنية بين جريمة الأذى وبين اتخاذ إجراءات الدفاع والمواجهة الفاعلة .. والإرهابيون يهدفون فى الواقع إلى ترويعنا ، وإلى ملء نفوسنا بالجزع من الاستيقاظ فى الصباح، ومن المستقبل بل من بعضنا بعضًا .. ولكن لم يشهد التاريخ قط نجاح أية استراتيجية إرهابية

قائمة بذاتها؛ ففشل جهود الترويع حتمى لا محالة، ولا يحتمل فى القرن الحالى أن يزهق العدد نفسه من الأرواح التى اغتيلت فى القرن العشرين .

ولكن ليس لدى كل غاضب الرغبة فى تدمير العالم المتحضر، فثمة كثير ممن تسيطر عليهم مشاعر الحنق والغضب، لأنهم يريدون أن يكونوا جزءًا من الغد، غير أنهم عاجزون عن العثور على البوابة المفتوحة التى توصل إليه، ومن ثم فإننى أظن أننا لن نتمكن من إقامة نظام تجارى عالمى من دون أن تكون لدينا سياسة عالمية موحدة فى كل من الاقتصاد والرعاية الصحية والتعليم، والبيئة، والأمن .

لا بد فى الواقع من أن نخلق فرصًا لأولئك الذين نجم اندفاع قاطرة التقدم عن تخلفهم تمامًا ، ومن ثم تقليص زمرة الإرهابيين بمضاعفة عدد الشركاء..ولكى يتسنى للعالم الغنى أن يضم شركاء جددًا لا بد أن يضطلع بالتزامه حيال خلق فرص اقتصادية أكثر وأفضل ، وأن يعنى بالحد من مظاهر الفقر .. البداية تتمثل فى ضرورة إقامة جولة أخرى ضمن جولات تخفيف عبء الدين العالمى. وكانت كل من الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبى وغيرهما قد خففوا ديون نحو أربع وعشرين دولة من أفقر دول العالم بشرط وحيد؛ ألا وهو قيامها بتوجيه الأموال إلى التعليم، والرعاية الصحية، والتنمية ، وكم كانت النتائج مذهلة؛ فقد شهدت أوغندا- على سبيل المثال- تضاعف عدد المسجلين فى المدارس الابتدائية، وانخفاض كثافة الفصول نتيجة لما وفرته من فوائد الديون،، وكذلك فعلت هندوراس فى عام واحد، إذ نجحت فى رفع سن التعليم الإلزامى من ست سنوات إلى تسع .

ولسنوات عدة قامت الولايات المتحدة بتقديم القروض اللازمة لتمويل نحو مليون مشروع صغير سنويًا فى الدول الفقيرة، ولكن علينا أن نفعل أكثر من ذلك ؛ فرقم المليونين لا بد أن يرتفع ليكون خمسين مليونًا. إن تفجر النمو الاقتصادى ممكن - كما يرى عالم الاقتصاد البيروانى "هيرناندو دى سوتو"، ولكن إن تم وضع أصول الفقراء تحت مظلة النظام الشرعى، مثل منحهم سندات ملكية لبيوتهم ، بحيث تتجلى الفوائد المباشرة لهم فى أوطانهم، وهو ما سيمكنهم من الحصول على قروض بضمانها، فحينئذ فقط ستفتح أسواق جديدة .

ولقد قامت أمريكا وأوربا فى العام الماضى بفتح أسواق أكثر فى إفريقيا، والكاريبى، وكذلك فى ڤييتنام والأردن ، كما تم قبول الصين عضوًا فى منظمة التجارة العالمية ، ولكن لا بد من مضاعفة فتح الأسواق أكثر وأكثر، وتوسعة نطاقه فى عالمنا.

وينبغى كذلك - وبشكل عاجل - تدبير مبلغ عشرة مليارات من الدولارات كان أمين عام الأمم المتحدة "كوفى أنان" قد ...

... طلب توفيرها لمحاربة مرض الإيدز .. تجدر الإشارة إلى أن حصة الولايات المتحدة من هذا المبلغ ٢ر٢ مليار دولار- أى مجرد جزء واحد من الألف من الميزانية، وهى تكلفة أقل بكثير من ضرورة التعامل فيما بعد مع ثلاثين مليون ضحية يتوقع إصابتها بالإيدز فى الهند وحدها.المنطق نفسه ينطبق على الإسهام فى التعليم ؛ فعام واحد من التعليم يزيد من دخل الفرد فى البلد الفقير بنسبة تتراوح من عشرة إلى عشرين بالمائة ..ثمة مائة مليون طفل لم يلتحقوا أساسًا بأية مدرسة، نصفهم فى الدول الإفريقية شبه الصحراوية. وحسبنا أن نعلم أن السبب الرئيس وراء اتجاه المدارس كافة فى باكستان إلى عدم تدريس الرياضيات، وإلى إشاعة أفكار غريبة وشاذة، من قبيل أن "أمريكا وإسرائيل قد أعادتا الديناصورات إلى الأرض بغية قتل المسلمين "، كان هو عجز الباكستانيين عن دعم مدارسهم فى الثمانينيات إثر عدم تمكنهم من تدبير الأموال اللازمة لذلك الغرض .

إن إلحاق مائة مليون طفل على مستوى العالم بالمدارس يُعد إجراءً غير مكلف أبدًا إذا قورن بنفقات مواجهة جيل جديد من الإرهابين ، وبالإمكان تنفيذه..ففى البرازيل – على سبيل المثال – ينتظم سبعة وتسعون بالمائة من الأطفال فى المدارس بسبب اتجاه الحكومة إلى دفع مبلغ من المال لكل أم تنتمى إلى الثلث الأدنى من العائلات الفقيرة إن حرصت على إلحاق طفلها بالمدرسة..إن أمريكا تتكبد نحو مليار دولار شهريًا ، وهى تكلفة الحرب فى أفغانستان، ولكن بإمكانها أيضًا مقابل اثنى عشر مليارًا من الدولارات سنويًا أن تدفع أكثر من حصتها المحددة والعادلة فى البرامج التى أشرت إليها سلفًا .

وثمة التزام يقع على عاتق الدول الفقيرة أيضًا ؛ إذ لا بد من أن تولى اهتمامًا بتعزيز الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والحكم السليم؛ فالديمقراطيات لا ترعى الإرهاب المنظّم أبدًا، بل تسعى دومًا إلى احترام حقوق الإنسان .. ومن أجل بلوغ تلك الغاية لا بد أن نشجع ذلك الجدل الدائر حاليًا فى العالم الإسلامى – والذى ظل متأرجحًا صعودًا وهبوطًا طيلة ألف وثلاثمائة عام – حول ماهية الحقيقة ، وطبيعة الاختلاف ، ودور العقل ، وإمكانية إحداث تغيير إيجابى بلا عنف .. أكثر من حقق نجاحًا فى محاولة تحقيق المصالحة والتوازن بين العقيدة وبين ضرورات الحياة الحديثة كان هو "الملك حسين " عاهل الأردن، الذى انتقل- مع الأسف- إلى الرفيق الأعلى منذ فترة ليست ببعيدة.. قام "الملك حسين" فى عام ١٩٩١ بإحداث هزة عنيفة أقرب إلى الصدمة داخل عناصر المجتمع الأردنى كافة ، وقدم برلمانًا حقيقيًا من خلال انتخابات نزيهة يستطيع أعضاؤه كافة- بمن فيهم الأصوليون – أن يعملوا بمنتهى الحرية ما دام قد اتُفق على

عدم الافتئات على حقوق الآخرين أو تقييدها .

ومن ثم، فليس من قبيل المصادفة أن تكون الأردن اليوم هى أكثر دول الشرق الأوسط استقرارًا على الصعيد السياسى، مع أنها بلد فقير ، نام ، تقطنه أغلبية فلسطينية – بلد صغير ذو موقع جغرافى دقيق. لقد تحقق ذلك الاستقرار السياسى للأردن بسبب نزوعها نحو الديمقراطية والاحترام المتبادل ، وتوجهها القائم على القناعة بدور التفكير والجدل الإنسانيين . ولذا ،فعلى من يريد منا إقامة علاقة طيبة مع العالم الإسلامى، أن يدعم ذلك الاعتدال والاتجاه نحو الديمقراطية .

وعلى ذلك، فلو كان الاعتماد المتبادل سوف يكون خيرًا كله، وليس وبالاً خلال القرن الحادى والعشرين، فإنه يتعين علينا إدراك حقيقة مفادها أن تَشارُكنا كافة فى صفة الإنسانية يعد أهم بكثير من أية اختلافات.ذلك هو الكفاح نحو بلوغ روح القرن الجديد، ولكن التاريخ أثبت صعوبة تحقيق هذا المفهوم : فلم يلق "غاندى" مصرعه على يد أحد المسلمين الغاضبين؛ وإنما اغتاله أحد الهندوس بسبب رغبة "غاندى" فى أن تكون الهند للجميع: للمسلمين واليانيين والسيخ والهندوس.. وكذلك «أنور السادات» الذى لم يغتله منذ عشرين عامًا أحد أفراد الكوماندوز الإسرائيليين؛ وإنما أحد المصريين الغاضبين ممن اعتقدوا أن "السادات" لم يكن مسلمًا صالحًا؛ لأنه أراد علمنة مصر، والمضى قدمًا فى السلام مع إسرائيل . ولا أغفل صديقى " إسحاق رابين" – وهو واحد من أعظم الرجال الذين عرفتهم طيلة حياتى – والذى لم يلق حتفه على يد أحد الإرهابيين الفلسطينيين، بل على يد إسرائيلى غاضب اعتقد أن "رابين" لم يكن يهوديًا صالحًا، ولا إسرائيليًا مخلصًا؛ لأنه أراد أن يضع حدًا لخط مستمر ولا نهائى من جرائم القتل مقابل تحقيق سلام آمن يحصل الفلسطينيون فى ظله على وطن لهم، واعتراف بمصالحهم فى القدس.. وحقيقةٌ ينبغى علينا نحن – ممن حقق أكبر استفادة ،وبلغ أعظم نفع – أن يسعى قدمًا من أجل جعل هذا العالم، الذى هو عالم بلا جدران، وطنًا لنا جميعًا ■

هوامش المراجع

١- النانو: جزء من مليار وحدة معينة .
٢- الميكرو: جزء من مليون وحدة معينة .
٣- مرض الطاعون الذى حصد أرواح الملايين فى أوروبا وآسيا فى القرن الرابع عشر.